Al-Tarikh Va Al-Hazarah Al-Islamiyah
Royat Al-Mu'asirah
ISSN: 2783-5154

The Reflection of the Thought of Imamate and Mahdism in the Safavid Era: An Analysis of European Travelers' Descriptions*

Arman Forouhi[1] **Tahereh Abdolmaleki**[2]

1. Assistant Professor, Department of Iranian Studies, Faculty of Humanities, Meybod University, Meybod, Iran (**Corresponding Author**).
A.Forouhi@meybod.ac.ir

2. M.A. in Islamic Iranian History, Department of Iranian Studies, Faculty of Humanities, Meybod University, Meybod, Iran.
taheremaleki7877@gmail.com

Abstract

The thought of Imamate and Mahdism is regarded as one of the fundamental pillars of Shiʿi thought and is rooted in the continuity of Shiʿism in the process of state formation. With the establishment of their rule in the early tenth century AH, the Safavids played a significant role in the expansion of Twelver Shiʿism and its associated thoughts. The Safavid kings made use of belief in the Imamate—especially Mahdism—to legitimize their rule and to enhance their political authority. Adopting a descriptive–analytical approach, this study examines the reflection of beliefs related to the Imamate and Mahdism in the travel accounts of European visitors. By analyzing these travelers' descriptions of the legitimacy of the government, religious ceremonies, and popular beliefs, the research presents a

* Forouhi, A., Abdolmaleki, T. (2025). The Reflection of the Thought of Imamate and Mahdism in the Safavid Era: An Analysis of European Travelers' Descriptions, 5(2), pp. 114-141. https://doi.org/10.22081/ihc.2025.72271.1087

▣ **Article Type:** Research; **Publisher:** Islamic Sciences and Culture Academy

▣ **Received:** 2025/02/10 ●**Revised:** 2025/03/12 ●**Accepted:** 2025/04/15 ●**Online publication:** 2025/06/10

© 2025
authors retain the copyright and full publishing rights

picture of the political, social, and cultural dimensions of the Imamate and Mahdism in the Safavid period. The findings indicate that, despite scattered references to manifestations of these two concepts, it is possible to gain a meaningful understanding of the role of Imamate and Mahdism in Safavid society. General Shiʿi beliefs such as the Twelve Imams, the succession of the Imams (peace be upon them), the expectation of deliverance, the appearance of the Promised One, and the celebration of the mid-Shaʿban are among the themes addressed by Western travelers in their travelogues.

Keywords
Imamate, Mahdism, Ahl al-Bayt (peace be upon them), European travelers, Safavids.

التاريخ والحضارة الإسلامية
رؤية معاصرة
ISSN: ٢٧٨٣-٥١٥٤

انعكاس فكرة الإمامة والمهدوية في العصر الصفوي
استكشاف أوصاف الرحالة الأوروبيين*

آرمان فروهي[١] طاهرة عبدالملكي[٢]

١. أستاذ مساعد في قسم الدراسات الإيرانية في كلية العلوم الإنسانية، جامعة ميبد، إيران (**الكاتب المسؤول**).
A.Forouhi@Meybod.ac.ir

٢. ماجستير في تاريخ إيران الإسلامي، قسم الدراسات الإيرانية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة ميبد، إيران.
taheremaleki7877@gmail.com

الملخص

تُعتبر فكرة الإمامة والمهدوية من الأركان الأساسية في الفكر الشيعي، ولها جذور في بقاء الفكر الشيعي في تشكيل الحكومة. لعب الصفويون، بتأسيس حكومتهم في أوائل القرن العاشر الهجري، دورًا مهمًا في نشر التشيع الاثني عشري وأفكاره. وقد استغل ملوك الصفوية عقيدة بالإمامة، وخاصة المهدوية، لإضفاء الشرعية على حكمهم وزيادة قوتهم. تتناول هذه الدراسة، بمنهج وصفي وتحليلي، انعكاس المعتقدات المتعلقة بالإمامة والمهدوية في يوميات الرحالة الأوروبيين. وستقدم هذه الدراسة، صورة للأبعاد السياسية والاجتماعية والثقافية للإمامة والمهدوية في العصر الصفوي من خلال تحليل وصف هؤلاء الرحالة لمدى مقبولية الحكم ومراسيم الناس ومعتقداتهم. تُشير النتائج إلى أنه على الرغم من الإشارات المتفرقة إلى مظاهر

* فروهي، آرمان؛ عبدالملكي، طاهره. (٢٠٢٥م). **انعكاس فكرة الإمامة والمهدوية في العصر الصفوي استكشاف أوصاف الرحالة الأوروبيين**. التاريخ والحضارة الإسلامية؛ رؤية معاصرة، ٥(٣)، صص ١١٤-١٤١.

https://doi.org/10.22081/ihc.2025.72271.1087

© المؤلفون * **نوع المقالة:** مقالة بحثية * **الناشر:** المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلامية.

تاريخ الإستلام: ٢٠٢٥/٠٢/١٠ ● **تاريخ التعديل:** ٢٠٢٥/٠٣/١٢ ● **تاريخ القبول:** ٢٠٢٥/٠٤/١٥● **تاريخ الإصدار:** ٢٠٢٥/٠٦/١٠

مفهومي الإمامة والمهدوية، يمكن استخلاص صورة مهمة لهذه المعتقدات في مجتمع العصر الصفوي. تُعد المعتقدات الشيعية العامة مثل الأئمة الاثني عشر، وخلافة الأئمة عليهم السلام، وانتظار الفرج، وظهور الموعود، وإقامة احتفالات النصف من شعبان، من بين الموضوعات التي تناولها الرحالة الغربيون في يومياتهم.

الكلمات المفتاحية

الإمامة، المهدوية، أهل البيت عليهم السلام، الرحالة الأوروبيون، الصفوية.

المقدمة

أدى ظهور الصفويين (٩٠٧-١١٤٨هـ / ١٥٠١-١٧٣٦م) والإجراءات التي اتخذوها إلى إحداث تحولات جذرية في التاريخ الثقافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي لإيران. يُمثل هذا العصر تجديدًا لهيمنة الحكم الإيراني على مناطق شاسعة وواسعة كانت قد عانت من الفوضى والتشرذم بعد هجوم المغول وأصبحت تحت سيطرة حكومات صغيرة ومتوازية. نجح الملوك الصفويون في خلق التماسك والوحدة في البلاد واستعادة قدر كبير من الاقتدار السابق لإيران، وذلك عن طريق منع توسع الإمبراطورية العثمانية القوية وقمع أهداف بعض الدول الأوروبية.

الدول الأوروبية، التي كانت تتفق وتتماشى مع الإيرانيين في منع توسع قوة العثمانيين، وسّعت علاقاتها مع إيران. وأدى هذا، بالتبع، إلى زيادة توافد المبعوثين وممثلي الدول الأوروبية إلى إيران.

في هذا السياق، استضافت إيران رحالة ومسافرين مختلفين من طبقات المجتمع المتنوعة، الذين دخلوا إيران بأهداف شتى مثل البحث والتحقيق، والسياحة والتجوال، والبعثات السياسية، والرحلات العلمية، والتجارة، والتبشير الديني. وقد دوّن العديد من هؤلاء الرحالة مذكراتهم وتجاربهم ومشاهداتهم ومسموعاتهم، وتُعد هذه اليوميات اليوم من المصادر المهمة للبحث (ميرأحمدي، ١٣٦٨ش، ص ٤٩٧).

بشكل عام، تحتوي يوميات الرحالة في العصر الصفوي على معلومات قيّمة حول الأوضاع الاجتماعية والسياسية والجغرافية والاقتصادية والدينية للمدن الإيرانية المختلفة، ولا سيما مدينة أصفهان. ويُعزى جزء كبير من معلوماتنا عن التاريخ الاجتماعي للناس في القرون الماضية إلى تقارير هؤلاء الرحالة الأجانب الذين قاموا بتسجيل ملاحظاتهم كمراقبين خارجيين. إن دراسة هذه اليوميات لها أهمية خاصة لأنها لا تقتصر على تحديد الوضع الاجتماعي والسياسي لإيران

في العصر الصفوي فحسب، بل تُوضح أيضًا نظرة الرحالة ورجال الدولة الغربيين تجاه إيران.

القضية الرئيسية التي بُحثت في هذه الدراسة هي تبيان عقيدة الإمامة والمهدوية في هذه اليوميات، ودراسة وجهة نظر الرحالة حولها.

تكمن أهمية دراسة هذه المسألة في الأهمية الخاصة لهذا الموضوع في العصر الصفوي، حيث تظهر الإمامة وخاصة المهدوية في هذا العصر بأبعاد مختلفة مثل: الانتظار، والموعود، واتصال الدولة الصفوية بدولة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، والنيابة العامة عن صاحب الزمان، والدعاء لظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. وقد لاقت هذه الأبعاد اهتمام الرحالة الغربيين أيضًا.

نظرًا لأن موضوع المهدوية والاعتقاد بالمهدي الموعود يُعد أحد المعتقدات الرسمية للمسلمين وممهدًا للتحولات الأساسية في تاريخ الإسلام، فإن هذه العقيدة تمثل أملًا يُرسّخ نور الإيمان والطمأنينة في قلوب المؤمنين. هناك آيات في القرآن الكريم تُعزز هذا الاعتقاد، فمثلاً جاء في الآية ٨٦ من سورة هود: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾.

بالرغم من أن المهدوية كانت إحدى القضايا المهمة والأساسية في هذا العصر، وقد بذل الملوك الصفويون جهودًا كبيرة للترويج لها وأقاموا شرعية حكمهم في ظلها، إلا أنه لا تُلاحظ معلومات ذات بال أو لافتة للنظر في يوميات الرحالة الأوروبيين ومؤلفاتهم حول شخص الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وأبعاده الأخرى.

تجدر الإشارة إلى أنه قد كُتبت كتب ومقالات متخصصة لتوضيح فكرة المهدوية والموضوعات المرتبطة بها في العصر الصفوي.

تناول هذا الأمر الباحث رسول جعفريان (١٣٩١-١٣٩٤) في كتابين بعنوان " مهديان دروغين" و" نظريه اتصال دولت صفوي به دولت حضرت مهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف"، ومقالات الباحث خليلي (١٣٩٢) في " گفتمان نجات بخشي در

ايران عصر صفوي"، وإسماعيلي وأحمدي (١٣٩٤) في مقال " گفتمان مهدويت در عصر شاه اسماعيل و شاه طهماسب صفوي"، وكذلك مطهري ونجفي زاده (١٣٩٧) في مقال " مهدويت در تاريخ نگاري عصر صفويه". ورغم أن هذا المقال الأخير يقدم معلومات جيدة وشاملة للقارئ حول المهدوية حول تدوين التاريخ في تلك الفترة، إلا أن معظم المصادر المذكورة فيه هي مصادر عامة وتسلسلية، ولم يُولَ اهتمام كافٍ للمصادر الأخرى؛ ولذلك، لم تُقدم صورة كاملة عن معتقدات المهدوية.

كما تم تأليف مقال حول اليوميات السفرية لـ إيرانپور وخراساني پاريزي (١٤٠٢) بعنوان " بررسی جايگاه تشيع و ائمه شيعه در سفرنامه‌های صفوی". ولكن على الرغم من ذلك، لم يتم إعداد بحث مستقل يركز على محور المهدوية في أدب الرحلات هذا العصر.

لقد سعت هذه الدراسة، بالاعتماد على يوميات الرحالة المترجمة من العصر الصفوي، إلى الإشارة وتبيان مصداق فكرتي الإمامة والمهدوية في هذه اليوميات. وقد تم في هذا البحث أولًا تحديد المفاهيم الرئيسية للمصطلحات، ثم تناول دوافع الرحالة الغربيين للسفر إلى إيران، والمعتقدات الشيعية في الحكومة الصفوية من منظور الغربيين، وتجليات الإمامة والمهدوية في يوميات الرحالة لهذا العصر. ويشير الجزء الأخير من المقال أيضًا إلى مراسم النصف من شعبان في تلك الفترة.

١. تحديد المفاهيم

المهدوية: في الاصطلاح، تعني الأسلوب والسلوك والفكر والعقيدة التي تنتسب إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، أي الاعتقاد بوجود الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف (عميد، ١٣٦٤ش، ج١، ص ٢٣٣). ويُطلق مصطلح المهدوية على الطريقة أو السلوك الذي يُنسب إلى الاعتقاد والإيمان بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وبناءً على ذلك، فإن الثقافة المهدوية عبارة عن: «بيان الأفكار والمعتقدات والأصول المتعلقة بـ "العقيدة المهدوية" مع توضيح قيمها وواجباتها ومحرماتها، وتحديد معايير وأنماط السلوك والأفعال المرتبطة بها، وإنتاج الرموز والعلامات الرمزية لتطويرها وتدعيمها، واستحداث طقوس وعادات جديدة وتقوية الطقوس القديمة...؛ مثل التمهيد للظهور، والانتظار البنّاء، وأساليب نصرة المهدي الموعود، إلخ.» (عظيمي، ١٣٨٩ش، ص ١٥٥).

الصفويون (الصفوية): حكمت سلالة السلاطين الصفويين إيران في أوائل القرن العاشر الهجري بالاستناد إلى المذهب الشيعي الإثني عشري والطريقة الصوفية في قالب حكومة دينية. وقد اشتقوا اسمهم من أحد أسلافهم المسمى صفي الدين الأردبيلي (توفي ٧٣٥ هـ). وقد تغير اسم هذه الطائفة إلى الصفوية بعد وفاة الشيخ زاهد. في عام ٩٠٥هـ، تُوّج إسماعيل في تبريز، وكان أهم إجراء قام به الشاه إسماعيل في بداية حكمه هو إعلان المذهب الشيعي الإثني عشري كمذهب رسمي للبلاد. بعد أن اكتسبوا هوية سياسية وإقليمية، تمكنوا من إنشاء دولة مركزية وقوية في إيران. وقد أدى استقرار واستمرار الدولة الصفوية في إيران إلى ترسيخ الهيكل الديني في البلاد. ولم يدخر الحكام الصفويون جهدًا في إضفاء الشرعية على حكمهم من خلال الارتباط بالإسلام، وخاصة التشيع. مع تولي الصفويين السلطة، تحولت النظريات الدينية للدولة من المذهب السني إلى المذهب الشيعي الإثني عشري، مما هيأ الأرضية لتطبيق أحكام ومناهج وتعاليم الشيعة النظرية في الأنشطة الاجتماعية والسياسية. من أبرز سمات الحكم الصفوي: الوحدة والمركزية وتوحيد الإقليم وإنشاء مذهب رسمي لعموم البلاد. من ناحية أخرى، تمكن الصفويون من إدخال نظرية "الحق الإلهي للملك" (أي الملك يحكم الناس بتفويض من الله)، وهي عقيدة موروثة من المعتقدات الإيرانية القديمة، وأُدخلت في جهازهم الحكومي. ومن السمات الأخرى ذات الصبغة الدينية هي أن الملك الصفوي كان يعتبر نفسه ممثل الإمام الثاني عشر

للشيعةعجل الله فرجه الشريف، بل كانوا يتوقعون استمرار الدولة الصفوية حتى ظهور الإمام الغائبعجل الله فرجه الشريف (دشتي، ١٣٨٥ش، ج٦، ص ٧٠٢).

كتب الرحلات: كتابة الرحلات هي إحدى الأساليب الأدبية التي يمارسها شخص سافر إلى مناطق وبلاد أخرى فيقوم بتدوين ما يسمعه ويراه وتسجيل تجاربه وأحداثه ومشاعره حول تلك البلاد في شكل كتاب بهدف توعية الآخرين (رايت، ١٣٥٩ش، ص ٤٥). وقد ذُكرت تعاريف أخرى لكتب الرحلات، مثل: "قصة الرحلة، من حيث أنّ الرحلة كانت منذ القدم من أكثر الكتابات إمتاعاً لجميع الشعوب والأمم. وقصة الرحلة هي قصص حقيقية تتضمن التعجب والدهشة، وهي تحكي قصة خيالية أيضاً" (دانش پجوه، ١٣٨٥ش، ص ٣٣). في الواقع، كتب الرحلات هي نوع من التقارير التي يعرض فيها الكاتب مشاهداته حول أوضاع المدن أو البلاد التي زارها، ويقدم للقارئ معلومات كاملة عن المباني التاريخية، والأسواق، والمساجد، وكبار الشخصيات، والمكتبات، والعادات والتقاليد الوطنية والدينية للسكان، والموقع الجغرافي، والسكان، والمناخ، واللهجة المحلية، والمناطق التي زارها.

٢. دوافع الرحالة الأجانب للسفر إلى إيران في العصر الصفوي

كان أول وأهم المسافرين الأوروبيين الذين قصدوا إيران هم سفراء وممثلو الدول الأوروبية. وبطبيعة الحال، كان يتمتع هؤلاء المسافرون بمستوى عالٍ من المعرفة والخبرة والمعلومات الكافية، وهو ما كان ضرورياً للقيام بمهمة السفارة الهامة والخطيرة. إن أهم كتب الرحلات التي كُتبت خلال العصر الصفوي هي رحلات الموظفين السياسيين والسفراء الأوروبيين الذين كانوا يتوجهون إلى إيران ويؤدون مهمتهم بوعي وحكمة.

كان العصر الصفوي هو عصر ازدهار ورواج رحلات السياح والرحالة إلى إيران، والقفزة التي حدثت في هذا المجال خلال هذه الفترة جعلت سياحة

الأوروبيين إلى إيران محط اهتمام، واستمرت هذه الظاهرة وتطورت لتصل إلى ذروتها في الفترات اللاحقة، أي في عهد الأفشارية والزندية وبعدها في العهد القاجاري، لدرجة أن معظم كتب الرحلات التي كُتبت عن إيران تعود إلى العصر الصفوي وما بعده (دانش پجوه، ١٣٨٥ش، ص ٣٩).

في هذه الفترة، وبسبب الخوف من توسع القوة السياسية والعسكرية العثمانية، سعت الدول الغربية إلى إيجاد عقبات أمام نفوذهم وسيطرتهم. وكان أحد هذه السبل هو تعزيز علاقاتها مع إيران. كان هدفهم هو كسب ثقة الدولة الصفوية والاتحاد والتكاتف معها ضد العثمانيين من خلال هذه التفاعلات. ولتحقيق ذلك، كان من الضروري إرسال سفراء وممثلين مطلعين وعارفين بالقضايا اليومية إلى إيران، بحيث يمكنهم، إلى جانب كسب ثقة الشاه ورجال البلاط، الحصول على المعلومات المفيدة والضرورية.

علاوة على ذلك، وفي العصر الصفوي، احتاجت الدول الأوروبية لتوسيع تجارتها وصناعتها إلى اعتبار إيران كمصدر إمداد جديد، لكي تتمكن من توسيع حدودها التجارية إلى خارج الغرب. هؤلاء السفراء، الذين كانوا يتمتعون بمستوى كافٍ من التعليم والخبرة والمعلومات، كانوا يعكسون مشاهداتهم وتجاربهم بعد فترةٍ من الزمن، وهذا الأمر مهد الطريق لزيادة رغبة ودوافع السياح للسفر إلى إيران، وكانت نتيجة هذه الجولات هي أدب الرحلات الذي اكتسب مكانة خاصة من حيث الكم والكيف في هذا العصر. وتعتبر هذه المصادر مصادر أولية ذات معلومات مفيدة وقيمة وتحظى بأهمية خاصة.

يُعتبر تدوين كتب الرحلات مصدراً معلوماتياً هاماً للمستشرقين فيما يتعلق بفهم التشيع وخصائص الشيعة. فقد ذُكرت في هذه المصادر معلومات حول العادات والتقاليد، والمراسيم الدينية، والمبادئ الاعتقادية، والأعمال العبادية، والأماكن الدينية والمزارات، بالإضافة إلى تاريخ الشيعة، وهو ما سيتم التعمق فيه أكثر خلال العصر الصفوي.

٣. انعكاس مكانة الإمامة في أدب الرحلات في العصر الصفوي

تحظى الإمامة بمكانة سامية لدى الشيعة وتُعد إحدى الأصول الاعتقادية الأساسية. وقد برزت هذه المكانة بشكل أكبر في العصر الصفوي، لأن الحكومة الصفوية دعمت المذهب الشيعي الإمامي الاثني عشري وأعلنته المذهب الرسمي. في العصر الصفوي، ومع إضفاء الرسمية على المذهب الشيعي الاثني عشري من قبل الحكومة الصفوية، اكتسبت فكرة الإمامة والمهدوية أهمية خاصة. وعلى الرغم من أنّ الأوروبيين لم يتناولوا في أدب رحلاتهم هذا الموضوع بشكل شامل وواسع، إلا أن انعكاسات هذه المعتقدات، وخاصة الإمامة، تظهر في أسفارهم المدوّنة ومشاهداتهم.

٣-١. المعتقدات الكلامية الشيعية في أدب الرحلات الأوروبية

من بين أدب الرحلات في العصر الصفوي، يُعد آدم أولياريوس من أوائل الذين انتبهوا إلى عقيدة الشيعة فيما يتعلّق بموضوع الإمامة. وفي معرض وصفه لمعتقدات الإيرانيين (الشيعة)، اعتبر أن الإمامة هي إحدى الأركان الأربعة للاختلاف العقائدي بينهم وبين الأتراك السنة، والأركان الثلاثة الأخرى هي تفسير القرآن، والعبادات والمراسم الدينية، والمعجزات التي تُنسب إلى القديسين (إيرانپور، ١٤٠٢ش، ص ١٦٥).

وقد كتب جان شاردان، الرحالة الفرنسي، ملاحظات حول الإمامة في كتاب رحلته. في البداية، أشار إلى عقيدة الشيعة في مسألة الإمامة واعتقادهم بالأئمة الإثني عشر بعد النبيﷺ، وكتب بخصوص كيفية تعيين الإمام: «يعيّن الإمام إما النبي أو إمامٌ كان آباؤه جميعاً يحملون مقام الإمامة» (شاردان، ١٣٥٠ش، ج١، ص ١٠٩).

ويفصّل أولياريوس عقيدة الشيعة في الإمامة بشكل نسبي ومفصل ويقول: «هم قائلون بالخلافة المباشرة للإمام عليعليه السلام، وأن الخلفاء الثلاثة الآخرين غصبوا

مكانه ظلماً، وأن الإمام لم يلجأ إلى النضال المسلح للحفاظ على الإسلام ومنع الفرقة» (أولياريوس، ١٣٦٣ش، ص ٥٤). وفي موضع آخر، يتناول أولياريوس في سياق المقارنة بين معتقدات السنة والشيعة في مسألة الخلافة، فترة حكم الإمام علي عليه السلام وإصلاحاته المتعلقة بالتعبير الكامل والدقيق عن القرآن الذي لم يُفسَّر بشكل صحيح في الفترات السابقة (أولياريوس، ١٣٦٣ش، ص ٣١٤).

لم يذكر أولياريوس أسماء الأئمة الآخرين في كتاب مذكرات رحلته، بل أشار فقط إلى أن الإيرانيين يعتقدون باثني عشر إماماً، وأن للإمام علي عليه السلام ولدين ذكور هما الحسن والحسين عليهما السلام خلفاه بعده، وأن لهما تسعة خلف، ليصبح المجموع اثني عشر شخصاً. وقد اتخذ الإيرانيون هؤلاء الاثني عشر أئمتهم الدينيين، واليوم يعتبرونهم مع الشيخ صفي أسمى الصالحين لديهم (أولياريوس، ١٣٦٣ش، ص ٣٣٢).

تُظهر وجهة نظر أولياريوس أنه أدرك أهم الأصول الكلامية الشيعية، مثل تعيين الإمام من قبل الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وغصب خلافة النبي صلى الله عليه وآله، وانحراف حكومة الخلفاء الثلاثة عن مبادئ الحكم النبوي القائم على القرآن، وقد تناولها في كتاب رحلته.

يُعبّر إنجلبرت كمفر عن عقيدة الشيعة في الإمامة والمباحث المتعلقة بها بدقة أكبر. فهو يرى في كتاب مذكرات رحلته أن الإمامة حق عائلي وموروث، ويذكر أن سبب أحقية اثني عشر إماماً فقط في الوصول إلى الخلافة هو نسبهم من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله (كمفر، ١٣٦٤ش، ص ٤٤).

يعتقد كمفر أن الإيرانيين ملتزمون بالمذهب الشيعي الاثني عشري، ويعتبرون الأئمة الاثني عشر أحق الناس بالخلافة وبوراثة النبي محمد صلى الله عليه وآله، وبالتالي حكم المؤمنين وقيادتهم، لأنهم من نسل النبي صلى الله عليه وآله. ويذكر صفات لهؤلاء الأشخاص مثل الحياة الطاهرة والمقدسة، ويعتبرهم أصحاب معجزات وكرامات، ويُرجع سبب شعبيتهم وقبولهم إلى هذا الطهر والنقاء. واستكمالاً لمناقشاته حول هذا الأمر

المهم، يستعرض أسماء هؤلاء الاثني عشر كأئمة للشيعة ويكتب في كتاب مذكرات رحلته: «الآن سأعدّ الأئمة بنفس الترتيب الذي يعتقده الإيرانيون: ١. مرتضى علي، ابن عم النبي وزوج ابنته، ٢. الحسن، ٣. الحسين، ٤. زين العابدين، ٥. محمد الباقر، ٦. جعفر الصادق، ٧. موسى الكاظم، ٨. الرضا، ٩. محمد التقي، ١٠. علي النقي، ١١. الحسن العسكري، ١٢. محمد المهدي» (كمفر، ١٣٦٤ش، ص ١٣٤).

باستعراضه أسماء أئمة الشيعة الإثني عشر بدقة، ينظر كمفر إلى معتقدات الشيعة من منظور "الآخر" معتمداً على معلوماته الدينية. وقد أشار إلى الحق العائلي والموروث والحياة الطاهرة في وراثة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي مصاديق مفهومة للقارئ الأوروبي.

٣-٢. رموز الإمامة في الدولة الصفوية

أحد الأمثلة على تجليات الاعتقاد بالإمامة والأئمة الاثني عشر، والذي لم يغب عن أعين وسطور الرحالة الأوروبيين، هو نقل قصة تتويج الملوك الصفويين، حيث كان التاج يحوي طيات/زوائد. يكتب كمفر: «هذا التاج الأحمر البسيط ملتصق بإحكام على الجبهة، ثم يتسع وينتهي بجزء مسطح في الأعلى، وله اثنا عشر "طية" بعدد الأئمة الاثني عشر. ويُروى أن الإمام علي عليه السلام ظهر للشيخ الصفوي في المنام بهذا النوع من غطاء الرأس. ثم روّج الشاه إسماعيل، مؤسس السلالة الصفوية، هذا الشكل كقبعة موحدة للبلاط» (كمفر، ١٣٦٤ش، ص ٨٦).

وبالمثل، يتطرق ديلّافالي في مذكرات رحلته إلى دور الشاه إسماعيل، أول ملوك الصفويين، في إضفاء الشرعية على المذهب الشيعي في إيران، حيث أصدر أمراً بوضع قبعة حمراء ليضعوها تحت عمائم جنودهم الأتراك لتمييز موقعهم الوظيفي والعقائدي عن الفرق الأخرى. يصف ديلّافالي هذه القبعة وغطاء الرأس قائلاً: «قبعة مع شُرّابة حمراء في قمتها تبرز على ارتفاع مناسب فوق

العمامة، ولها اثنتا عشرة "طية" حولها كعلامة على الاثني عشر خليفة لعلي الذين يقدسونهم كأئمة وقادة لفرقتهم، ولهذا السبب يسمونهم الإمامية» (ديلّافالي، ١٣٨٠ش، ص ١١٨).

وتؤكد المصادر الصفوية المتقدمة أيضاً أن أمر إنشاء "تاج حيدري" (تاج الاثني عشر طية) وطريقة صنعه قد أُملي على حيدر (جد الصفويين) في رؤيا رأى فيها الإمام علي عليه السلام (مؤلف مجهول، ١٣٨٤ش، ص ٢٦؛ واله الإصفهاني، ١٣٧٢هـ، ص ٥٣). وبناءً على ذلك، أمر الشاه إسماعيل في البداية بصنع "التاج الوهاج" لزيّ جنوده من السقرلاط الأحمر مع اثنتي عشرة طية إشارة إلى الأئمة الاثني عشر (منشي قزويني، ١٣٧٨ش، ص ١١٩). وفي رواية أخرى، خصص الشاه إسماعيل تصميم "التاج الوهاج" بدلاً من "التاج الحيدري" لـ "زي الغزاة المجاهدين والصوفيين المتعبدين" الذين يمثلون تعاليم الأئمة (جنابدي، ١٣٧٨ش، صص ١٥٦-١٥٧).

من الأمثلة الأخرى على اعتقاد الحكومة والشعب بالإمامة (إمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام)، والتي يمكن دراستها في مدوّنات كتّاب الرحلات، هو ما دُوّنوه حول سك العملة.

على سبيل المثال، خلال مراسم تتويج الشاه صفي، الذي أعاد تتويجه للمرة الثانية لأسباب مختلفة، وقام بتغيير اسمه إلى الشاه سليمان في اليوم نفسه، يكتب كمفر الذي شهد هذا الحدث، بعد المراسم، عن سك العملة التي نُقش عليها أسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام قائلاً: «على أحد جانبي هذه العملة كُتب: "لا إله إلا الله" و "محمد رسول الله" و "علي ولي الله"، وعلى الجانب الآخر من العملة، نُقش هذا البيت الشعري: «ز بعد هستى، عباس ثاني/صفي زد سكه صاحبقراني».[1] ويُقرأ أسفل ذلك بقليل: «ضُربت في أصفهان عام ١٠٧٧هـ». ويبدو أنه على العملات الأخرى كان اسم الأئمة الاثني عشر، وفي الوسط كُتب: «صفي من

١. المعنى: "بعد الوجود، العباس الثاني / صفي سَكَّ عملة السيادة".

ملازمي النبي» (كمفر، ١٣٦٤ش، ص ٥١)، ويعتبر كمفر هذا دليلاً على المعتقدات الاثني عشرية للإيرانيين.

كذلك، تُعد الأوامر الملكية دليلاً آخر من هذه العلامات، حيث يشير كاتف في كتاباته إلى هذا الأمر الحكومي الذي أورده ملوك إيران في فرامينهم، والذي يحتوي على اثني عشر اسماً هي أسماء الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد الإيرانيون أنهم الخلفاء الحقيقيون للنبي (كاتف، ٢٥٣٦ش، ص ٣٦٥).

من خلال شروحات الرحالة الغربيين حول قبعة الاثني عشر طية، والعملة، والأمر الحكومي، يمكن استنتاج أن رموز تبعية الحاكمية للدين كانت تُعرض في رموز الدولة نفسها، حيث كان الدين والحكم يدعمان ويؤازران بعضهما البعض كشيء لازم وملزوم.

من الرموز الأخرى التي يمكن الإشارة إليها: المباني والمآذن، والمآذن المرافقة للمساجد، وتوسعة المراقد ومقامات الأولياء (خاصة في مشهد، وقم، وتبريز) والتي ذُكر فيها اسم الأئمة الاثني عشر. كما يُشار إلى مبنى الشاه عباس الذي بُني بنيّة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

بالإضافة إلى ذلك، تُعتبر الأوقاف التي خصصها الواقفون لدعم الطلاب مرجعاً مهماً. يكتب كمفر بخصوص دعم الطلاب أن هذه المساعدات تأتي من عائدات الأملاك الموقوفة للمعصومين الأربعة عشر (ويُقصد بهم هنا الأئمة الاثني عشر بالإضافة إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وابنته فاطمة عليها السلام)، وتُصرف العائدات المتعلقة بالشؤون الدينية لدعم الطلاب الذين لم يتمكنوا من تنمية مواهبهم بسبب فقر عائلاتهم (كمفر، ١٣٦٤ش، ص ١٤٣).

يتناول كمفر موضوع توسعة الأماكن الدينية، والهيكل الاقتصادي المعتمد على عوائد الوقف، وتأثير اهتمام الحاكمية بهذه الأمور، مما يدل على أن القضايا المرتبطة بالمعتقدات الشيعية لم تقتصر في العصر الصفوي على الإطار الديني والكلامي فحسب، بل تداخلت وتشابكت مع الثقافة والاقتصاد والمجتمع في ذلك العصر.

٣-٣. الحكومة الشيعية الصفوية والسياح الغربيون

من القضايا الهامة التي حظيت باهتمام خاص فيما يتعلق بالإمامة، هي الحكومة التي جاءت بعد الأئمة عليهم السلام. لقد استندت الحكومة الصفوية في شرعيتها على أساس الخلافة السياسية للأئمة الاثني عشر، ولذلك أكدوا على هذا الموضوع في جوانب مختلفة.

فيما يتعلق بالمعتقدات السياسية السائدة بين الناس، فإن تصريحات مراقب أجنبي كان على اتصال مستمر مع الناس مثيرة جدًا. شاردن، كاتب أكبر مذكرات رحلة في العصر الصفوي، أقام لسنوات عديدة في إيران، وخلال هذه الفترة، أقام علاقات مع مختلف طبقات المجتمع، من الشاه والوزير والأعيان والنبلاء وحتى الطبقات الدنيا. وتحتوي مذكراته على كم هائل من المعلومات الاجتماعية والعلمية والسياسية والحضارية عن إيران. ما يهمنا هنا هو المعلومات التي قدمها عن النظام السياسي في إيران خلال العصر الصفوي، حيث تحدث عن دور العلماء، والمعتقدات السياسية لعامة الناس، والاختلافات في وجهات النظر الموجودة في الثقافة السياسية الإيرانية (جعفريان، ١٣٧٩ش، ج١، ص ١٢٧).

عقد شاردن فصلاً خاصاً من كتابه، الذي كتبه في أواخر عهد الشاه عباس الثاني وفي زمن الشاه سليمان، لمناقشة "معتقدات الإيرانيين حول حق الحكم".

وبالإشارة إلى اعتقاد الشيعة بأن الله وهب النبوة والسلطنة لأنبيائه، ومنهم النبي محمد صلى الله عليه وآله، وأنه بعد وفاته انتقل هذا الحق إلى الأئمة، يكتب شاردن: «معظم الإيرانيين يتفقون مع هذا النظام والمذهب، ولكن لا يوجد إجماع بين علماء الدين حول الموضوع التالي: إذا توفي النبي أو خليفته دون أن يُعين خليفة، فما هي الصفات التي يجب أن تتوافر فيمن يحكم أمة مسلمة؟» (شاردن، ١٣٥٠ش، ج٣، ص ١٤٣).

كانت للإيرانيين عقيدة راسخة جدًا بأنّ الملوك الصفويين هم خلفاء الله، وكان هذا الاعتقاد سائداً حتى بين رجال البلاط والملوك أنفسهم. يذكر سانسون

في مذكرات رحلته أن الشاه سليمان، شأنه شأن أجداده الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أبناء الإمام منذ عهد الشيخ صفي، كان يدعو نفسه أيضاً بابن الإمام ويعتبر نفسه من أولاد مرتضى علي (الإمام علي عليه السلام) (سانسون، ١٣٤٦هـ، ص ٢٦).

ويضيف كاتف في السياق ذاته أنه في اللغة الفارسية يُطلق عادةً على السماء اسم "المكانة" أو "المنزلة" (جايگاه)، لأن شيعة علي يعتقدون أن ملوك إيران هم خلفاء النبي ومن أولياء الله، وبعد الوفاة، فإنهم يرتقون إلى السماء لتحقيق هدف أسمى تماماً كما تطير الطيور عائدة إلى أعشاشها (كاتف، ٢٥٣٦ش، ص ٣٨٥).

وقد عني الرحالة الغربيون بالفكر السياسي الشيعي الاثني عشري السائد المتعلق بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله بعد الله، وكذلك الخلافة المباشرة للأئمة عليهم السلام؛ على الرغم من أن وجهات النظر التي قدموها كانت تحتوي على نواقص خطيرة ومصحوبة بمعتقدات شعبية (عامية).

في فترة حكم الشاه إسماعيل، ارتبطت مسائل مثل الألوهية، والعصمة، وامتلاك قوى شبه إلهية بأمر سلطنة الشاه، وظلت تلقي بظلالها على جميع السياسات والتصرفات. ولكن اعتباراً من أواخر فترة الشاه إسماعيل، وخاصة بعد الهزيمة في معركة جالديران، وبعدها في عهد الشاه طهماسب، تم تعديل هذا التفكير.

الملوك الصفويون، الذين كانوا قد فقدوا شعبيتهم ومكانتهم ومنزلتهم الروحية بين القزلباش، تمكنوا تدريجياً من ترسيخ مكانتهم الروحية بين الناس من خلال نسبة أنفسهم إلى سلالة الإمام علي عليه السلام.

يضيف د. الساندري أن الناس يعبدون طهماسب "ليس كملك بل كإله"، لأنه من نسل علي الذي هو مصدر أعظم حب واحترام لديهم (مجموعة مؤلفين، ١٣٤٩هـ، ص ٤٧٢).

يشير شاردان إلى بداية عصر غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وما يعتقده الإيرانيون حول أحقية الحكم في هذه الفترة، ويعتقد بوجود رأيين:

الرأي الأول من المسلمين الإيرانيين، والذي يشمل "بعض العلماء ورجال

الدين وأتباعهم والمتدينين، يعتقدون أنه يجب أن يدير شؤون الدين والمجتمع والحكومة في البلاد طوال مدة غيبة الإمام "مجتهد معصوم [تُقرأ: عادل]". ويجب أن يكون هذا المجتهد جامعاً للعلوم ومنزهاً تماماً عن أي فساد أو خطيئة، وأن يكون قادراً على الإجابة على الاستفسارات الدينية الموجهة إليه."

بحسب شاردن، يعتقد الرأي الثاني أن الحكم في غيبة الإمام "يؤول إلى أحد الخلفاء المباشرين للإمام"، الذي لا يشترط أن يكون جامعاً للعلوم.

ويتابع شاردن الكتابة قائلاً: «بناءً على هذا الرأي، الذي يحظى بتأييد وقبول أغلبية الناس»، وهو الرأي الذي يؤمن بملكية أبناء الشيخ صفي للحكم. ويقدم شرحاً لحياة الشيخ صفي ويتحدث عن تقواه ونفوذه بين الناس وكيف استطاع أن يمهد الطريق لتأسيس مثل هذه الإمبراطورية الواسعة على يد أبنائه.

في الواقع، يستند شرح شاردن للرأي الثاني إلى أن "غالبية الإيرانيين يعتبرون ملكهم ممثلاً لأول خلفاء النبي، أي الأئمة، وخليفة الإمام الغائب الإمام المهدي الثاني عشر خلال فترة غيبته" (شاردان، ١٣٥٠ش، ج٣، ص١١٤٣).

لقد عرض شاردان بدقة كلا الرأيين المطروحين حول خلافة الأئمة عليهم السلام في فترة الغيبة، واعتبر أن حق الحاكمية، بناءً على رأي بعض الفقهاء، يعود إلى "المجتهد المعصوم" الذي يجب أن يكون جامعاً للعلوم الإسلامية ومنزّهاً من الفساد. ويشير شاردن إلى أن الرأي الثاني في خلافة الأئمة عليهم السلام هو الرأي الأقرب إلى الحكم الصفوي، حيث إن الحكم حق لأحفاد الأئمة عليهم السلام، أي أبناء الشيخ صفي، وهو ما يحظى بقبول شعبي. وبناءً على ذلك، تم طرح وتقديم الشرعية الدينية لملوك الصفويين بواسطة شاردان من خلال عرض وجهتي النظر المتعلقة بخلافة الأئمة عليهم السلام.

لقد كافح كمفر للوصول إلى الأساس النظري لهذه العقيدة. وما توصل إليه كمفر حول ضرورة الإمامة من الله حسب معتقدات الشيعة هو أنه، بناءً على إيمان الشيعة، عندما يريد الله تنفيذ مشيئته بين الناس، فإنه طبعاً لا ينفذ هذه

المشيئة عبر "الرؤساء الدنيويين"؛ لأن هيكل وجودهم غير مناسب للعناية الإلهية الخاصة. بل يجب أن تكون هذه المشيئة في وجود شخص "قد زهد في جميع الملذات الدنيوية" وأصبح قلبه مهبطاً للأنوار الإلهية.

هؤلاء الأشخاص هم الأئمة الأطهار عليهم السلام، "ونظراً لغيابهم في العصر الحاضر، فإنّ الإلهام ينزل فقط على خليفتهم وهو المجتهد. أما الشاه، الذي ائتمنه الله على رعاياه وإدارة شؤون بلاده، فيجب أن يدرك نية ومشيئة الإله من خلال لسان مجتهد عصره" (كمفر، ١٣٦٤ش، ص ١٢٦).

يبدو أن كمفر كان يسعى إلى فهم أعمق للأسس النظرية لوجهات النظر الشيعية في مسألة الإمامة، ومن خلال تحليل وجهات نظره، نكتسب المعرفة بالعلاقة المتبادلة بين المؤسسة الدينية ومؤسسة السلطنة في العصر الصفوي.

٤. مظاهر المهدوية في رحلات الغربيين في العصر الصفوي

تناول السياح الغربيون أيضاً مظاهر المهدوية في مذكرات رحلاتهم. ففي رحلة شاردان، يذكر اسم و ألقاب الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، باعتباره ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ويقدم شجرة نسب وتاريخ ميلاد الإمام الحسن العسكري والإمام المهدي عليهما السلام، ويذكر فترة إمامتهما وسيرتهما بشكل مختصر ومتوافق مع التاريخ الهجري والميلادي. ويذكر أن ميلاد الإمام الحادي عشر للشيعة كان في الثامن من ربيع الثاني في المدينة المنورة. ثم يواصل شاردان التعريف بالإمام المهدي ويعتبر ميلاده في الخامس عشر من شعبان (شاردن، ١٣٥٠ش، ج٥، ص ١٧٨٢).

٤-١. رأي السيّاح الغربيين في غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

من المواضيع الأخرى التي تناولها شاردان هي قضية المهدوية وغيبة الإمام الثاني عشر، والتي تُعد أحد الأصول الأساسية عند الشيعة. لقد تناول عقيدة الإيرانيين في المهدوية، حيث يعتقد الشيعة أن الإمام الثاني عشر، وهو آخر

الأئمة من سلسلة خلفاء النبي محمدﷺ والذي لم يختر خليفة من بعده، قد اختفى فجأة عن الخلق بإرادة الله في عام ٢٩٦ هـ.

يتناول شاردان في رحلته موضوع اختفاء الإمام (المهدي) بالتفصيل، مشيراً إلى أن الإمام المهدي لم يعرج إلى السماء ولم يمت، بل هو موجود في مكان مجهول حتى يأذن له الله بالظهور. وعندما يظهر بأمر إلهي بين الخلائق، سيتولى جميع الأمور، ويسلّم الكافرين بالإسلام، وسيملك بالعدل والحق على سائر العالم طالما بقيت الأرض والسماء، دون أن يعارضه أحد (شاردان، ١٣٥٠ش، ج١، ص ٤٤٣).

يتطرق شاردان إلى الأحداث الهامة في حياة الإمام المهديعجل‌الله‌تعالى‌فرجه‌الشريف، خاصة بعد استشهاد الإمام الحسن العسكريعليه‌السلام، ويؤكد أن غيبته حدثت في سن التاسعة، وفي فترة خلافة المعتمد العباسي. ويختتم تقريره بالقول: "إنه مهدي آخر الزمان، وهو حي ولكنه غائب عن الأنظار، وسيظهر يوماً ما" (شاردان، ١٣٥٠ش، ج٥، ص ١٧٨٢).

يبدو أن شاردان، على الرغم من كونه قساً (كاهناً) وقد دخل إيران بهدف التبشير بالمسيحية، والذي قام بدراسة واستقصاء الأوضاع في إيران من منظور ثقافي وديني بشكل أساسي، لم يتعمق في بحث المهدوية بشكل مفصل ودقيق، بالإضافة إلى ذكره لبعض التواريخ غير الصحيحة.

لكن النقطة التي تستدعي التأمل والنقاش في كتابات شاردان هي: أولاً، لديه خطأ واضح فيما يتعلق بسنة غيبة الإمام. فوفقاً للروايات الشيعية الموثوقة والراسخة، فإن الإمام المهديعجل‌الله‌تعالى‌فرجه‌الشريف غاب في عام ٢٦٠ هـ، عن عمر خمس سنوات، مباشرة بعد شهادة الإمام الحسن العسكريعليه‌السلام، بينما ذكر شاردان في كتابه عام ٢٩٦ هـ.

والنقطة الثانية، وهي الأهم، أنّ شاردان يذكر في رحلته أن الإمام اختفى بطريقة واحدة. في حين أن الروايات والسجلات التاريخية تشير إلى أن للإمام

غيبتين، إحداهما أطول من الأخرى (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج٥٣، ص ٣٢٤)، والمعروفة بالغيبة الصغرى والكبرى، وقد استعد الشيعة في تلك الفترة لقبول مسألة الغيبة مسبقاً (جعفريان، ١٣٩٠ش، ص ٨٣).

يشير كمبفر إلى أن الإيرانيين، وخاصة الشيعة، يعتقدون فيما يتعلق بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بصفته الإمام الأخير، أنه "لم يُدفن في أي مكان، بل استدعاه الله إليه، وسيظهر في الموعد الذي قدّره الله ليقضي على معارضيه ويملأ العالم بالإيمان بالنبي الحقيقي، ولهذا السبب يُدعى المهدي بـ 'صاحب الزمان'" (كمبفر، ١٣٦٤ش، ص ١٣٤).

من جهة أخرى، يتطرق شاردان في سياق حديثه إلى الإمام المهدي وعلاقة ظهوره بالسيد المسيح، حيث يشير إلى أنه عندما يظهر الإمام الثاني عشر للشيعة، المهدي صاحب الزمان، سيعود المسيح للظهور ويحارب الطغاة وأعداء الدين بمساعدة الإمام المهدي، وبعد أن يزول الفساد والظلم، سيتزوج الإمام المهدي ويأخذ عدة زوجات (شاردان، ١٣٥٠ش، ج١، ص ٤٣٣).

من المعتقدات الشيعية الاعتقاد بالعالم الآخر، وسؤال الموتى، وتأثير الأعمال على سعادة وشقاء الإنسان، وكذلك الاعتقاد بوجود شخص أو تيار يُدعى "المسيح الدجال" كعدو للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، والذي نُقلت أوصاف لصفاته الظاهرية والباطنية في كتب الروايات. يعتقد الشيعة أنه قبل ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بمدة قصيرة، أو بالتزامن معه، ستقع مواجهة وصراع شديد بين الإمام والدجال.

جميلي كاريري، الرحالة الإيطالي الذي سافر إلى إيران في عهد حكم الشاه سليمان الصفوي وبقي في البلاد حتى عهد الشاه سلطان حسين، يكتب في رحلته عن اعتقاد الشيعة بالحياة بعد الموت ونهاية الحياة وعلاقة ذلك بظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ما نصه: "يعتقد الإيرانيون والأتراك أنه بعد الموت وبعد أن يُدفن الناس، يأتي إليهم ملكان، أحدهما يُدعى 'نكير' والآخر 'منكر'، فيُحيّانهما

حتى وسطهما ويسألانهما عن حسنات وسيئات أعمالهما في حياتهما، ثم يُصيبهما بالعقوبة التي هما فيها، حتى ظهور صاحب الزمان الذي سيقتل الدجال وسيرسل أتباعه ومؤيديه إلى الجحيم" (كاريري، ١٣٤٨ش، ص ١٣٠). يشير كاريري أيضاً في هذا السياق إلى المعتقدات الشعبية حول الحياة بعد الموت ومجازاة الأعمال الصالحة والسيئة.

من خلال دراسة كتابات شاردان وكمبفر في المباحث المذكورة أعلاه، يمكن ملاحظة انتشار فكرة "الموعود" (الانتظار) في مجتمع العصر الصفوي، والتي كانت تستند إلى دعم الحكومة للمذهب. كما أن وجهة نظر المسيحية، أي ظهور السيد المسيح عليه السلام وتقارب الدينين الإسلامي والمسيحي فيما يتعلق بـ "الموعود"، تُعد من المواضيع الهامة التي وردت في رحلات الغربيين.

٢-٤. عقيدة المهدوية في رحلات الغربيين في العصر الصفوي

في العصر الصفوي، لم تكن الحكومة الحاكمة والعلماء هم وحدهم المشاركين في تحقيق عقيدة الموعود، بل كان تقريباً جميع الناس مساهمين فيها. بمعنى أن التقارير التاريخية المتعلقة بهذه الفترة تشهد على روح الانتظار للمُنقذ، ليس بشكل رمزي أو ظاهري، بل بجدية وعملية تامة استعداداً واستقبالاً لموعد ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. يمكن اعتبار المجتمع الإنساني في إيران في العصر الصفوي كمجموعة متجانسة نسبياً من العناصر التي تغلغل فيها مذهب التشيع الإمامي الاثني عشري بشدة، وبفضل الدعاية والدعم غير المحدودين اللذين قدّمهما الحكام الصفويون والفقهاء الشيعة لهذا المذهب، كان الهدف الأساسي هو نشر المذهب الشيعي في هذه البلاد. وفي هذا الإطار، قام الملوك الصفويون بالتعاون مع علماء الشيعة بتصميم وتنفيذ العديد من البرامج خلال هذه الفترة، وكان من أهمها نشر ثقافة انتظار الإمام المهدي الموعود في المجتمع (مطهري ونجف زاده، ١٣٨٧ش، ص ٥).

تُعد ليلة النصف من شعبان واحدة من الاحتفالات المهمة للشيعة منذ القدم

وحتى يومنا هذا، حيث يعتقد الشيعة أن ميلاد الإمام المهدي (آخر أئمة الشيعة والمُنقذ الموعود) كان في اليوم الخامس عشر من شهر شعبان من عام (٢٥٥هـ). وقد وصف الرحالة الأوروبيون هذا الاحتفال في بعض رحلاتهم مع ذكر التفاصيل ومن زوايا متعددة. في بعض الأحيان نظروا إليه بإعجاب وقارنوه بالاحتفالات في بلادهم أو بلدان أخرى أو احتفالات المسيحيين، وفي بعض الأحيان كانت بعض الحركات تبدو لهم مثيرة للسخرية واعتبروها خرافات نابعة من الأوهام. في العصر الصفوي، كان احتفال النصف من شعبان يُقام في إيران بطقوس خاصة في بعض المناطق، خاصة أصفهان.

بيترو ديلا فالي، الرحالة الإيطالي الذي سافر إلى تركيا وإيران والهند، يصل إلى إيران في عام ١٦١٧ م (١٠٢٩ هـ) في عهد حكم الشاه عباس الأكبر (ديلا فالي، ١٣٨٤ش، ص ١٣). وخلال السنوات الست التي قضاها في إيران، بالإضافة إلى مشاهدته للعديد من المدن الإيرانية واطلاعه على الثقافة والأعراف والتقاليد الإيرانية، أمضى معظم وقته في أصفهان. قام بوصف مشاهداته عن ليلة النصف من شعبان في هذه المنطقة، حيث يذكر أن هذا العيد يُقام سنوياً في إيران، وأن الصدقة وإطعام الطعام وطلب المغفرة للأموات هي من ضمن تقاليد أهالي أصفهان في هذه الليلة (ديلا فالي، ١٣٨٤ش، ص ٨٣). ومن بين كتّاب الرحلات الآخرين رافائيل دومان، الذي شاهد مدينة أصفهان وإقامة طقوس ليلة النصف من شعبان في هذه الديار خلال هذه الفترة. وهو يقدم وصفاً للنصف من شعبان عام ١٠٧٠- ١٠٧١ هـ. يضيف دومان نقطة جديدة إلى المعلومات التي قدمها ديلا فالي حول ليلة النصف من شعبان، وهي أن أهالي أصفهان كانوا يحتفلون بهذه الليلة لثلاث ليالٍ متتالية (صنيعي وإقبال، ١٤٠٣ش، ص ١٦٨). تُظهر روايات السياح الغربيين أن الاحتفال بليلة النصف من شعبان كان يحظى باهتمام الحكومة باعتباره عيداً مهماً وشعبياً، وبالنظر إلى توجه الحكومة الشيعية الصفوية لنشر الثقافة الشيعية، فقد أولت أهمية خاصة للاحتفال بليلة النصف

من شعبان في إحياء وتوسيع ونشر ثقافة المهدوية على مستوى المجتمع.

إن إنجلبرت كمبفر الألماني، الذي شاهد أصفهان عن كثب في أواخر العهد الصفوي، لديه وصف لليلة النصف من شعبان عام ١٠٩٥ هـ، يشبه ليلة القدر. ويكتب: "في اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن (شعبان)، يعتقد الإيرانيون أن الملائكة تفتح في السماء دفاتر مُسَجَّلٌ فيها أسماء الأحياء، ولهذا يسمون هذا اليوم 'يوم البراءة' (كمبفر، ١٣٦٤ش، ص ١٢٨). بناءً على ذلك، اعتُبر "ليلة البراءة" بقايا ليلة السادس من فروردين (رأس السنة الفارسية) في إيران القديمة. وفي الاعتقاد العام للناس، هو اليوم الذي يُحدد فيه مصيرهم السنوي، على الرغم من أن تقارير هؤلاء السياح لا تربط ليلة النصف من شعبان أو "ليلة البراءة" باسم الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. ومع ذلك، لا ينبغي أن ننسى أن ميلاد الإمام الثاني عشر مُسجل في التقاويم والمصادر الصفوية المختلفة، وأن هذا الميلاد مرتبط بيوم النصف من شعبان. لكن متى بدأ الاحتفال بهذا اليوم كعيد ميلاد للإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف فهذا يبدو أنه كان يُحتفى به في أواخر العهد الصفوي لهذه المناسبة أيضاً. لكن بشكل رسمي، تمت المصادقة على هذا العيد في عهد ناصر الدين شاه، حيث كان يُحتفل به من قبل البلاط والشعب على حد سواء (مظاهري، ١٤٠٢ش، ص ١٣٨).

النتيجة

تُسهم مذكرات الرحلات في فهم أفضل للمجتمع الصفوي ومعتقداته الدينية في تلك الفترة، وتلعب دوراً هاماً في دراسة تاريخ وثقافة هذه الحقبة. لذلك، فإن تحليل السجلات الصفوية للرحالة يمكن أن يقدم معلومات مفيدة حول مكانة فكرة الإمامة والمهدوية في مجتمع وثقافة تلك الفترة. وقد تناول هذا البحث تحليل منهج الغربيين تجاه الإمامة والمهدوية في سجلات رحلات العصر الصفوي. وعلى الرغم من أن هذه السجلات لا تناقش المهدوية بتفصيل، إلا أنها توفر

أرضية لاستنتاج وتحليل المناهج المختلفة تجاه هذا المفهوم من خلال تقديم صورة لمعتقدات وعادات وتقاليد شعب تلك الفترة. من منظور السياح الأجانب، لم تكن المهدوية في العصر الصفوي مجرد عقيدة دينية، بل كانت عنصراً مؤثراً في المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية.

ومع ذلك، فإن سجلات الرحلات تقدم صورة محدودة وغالباً ما تكون غير مباشرة للمعتقدات المرتبطة بالمهدوية. ويعود هذا إلى عدة عوامل: أولاً، وجهة نظر وغرض كُتّاب الرحلات، والتي كانت بشكل عام تركز على التوثيق الجوانب المادية والظاهرية للحياة، ولم تتعمق بالضرورة في الأبعاد الفكرية والدينية العميقة. ثانياً، القيود اللغوية وفهم الرحالة غير الإيرانيين للمفاهيم الدينية الشيعية وصعوبة ترجمة وتفسير المفاهيم الدينية الدقيقة. وثالثاً، احتمال وجود رقابة أو قيود اجتماعية وسياسية في التعبير الحر عن المعتقدات الدينية. وعلى الرغم من هذه القيود، يُظهر تحليل سجلات الرحلات أن الإيمان بالمهدوية في العصر الصفوي كان مرتبطاً بأبعاد سياسية واجتماعية وثقافية متنوعة وبدعم من الحاكمية.

المصادر

* القرآن الكريم.

اسماعيلي، محبوبة؛ أحمدي، نزهت. (١٣٩٤ش). «تحليل گفتمان مهدويت در عصر شاه اسماعيل و شاه طهماسب صفوي (٩٠٧-٩٨٦ق)»، پژوهش نامه تاريخ اسلام، ٢(٥)، صص ٥ - ٣٥.

اولياريوس، آدام. (١٣٦٣ش). سفرنامه مسكو و ايران. (ترجمة: أحمد بهپور). طهران: ابتكار.

إيرانپور، ساره؛ خراساني پاريزي، إبراهيم؛ رحيمي صادق، علي. (١٤٠٢ش). «بررسي جايگاه تشيع و ائمه شيعه در سفرنامه‌هاي عصر صفوي»، جغرافيا و برنامه‌ريزي منطقه‌اي، ٥٠(١٣)، صص ١٧٣-١٥٧.

بهرام زاده، محمد؛ دادبخش، مسعود. (١٣٩٨ش). «سفرنامه‌ها و سفرنامه نويسان دوره صفويه»، مطالعات ايران شناسي، ١٥(٥).

جعفريان، رسول. (١٣٧٩ش). صفويه در عرصه دين، فرهنگ و سياست. قم: مركز أبحاث الحوزة والجامعة.

جعفريان، رسول. (١٣٩٠ش). حيات فكري-سياسي امامان شيعه. قم: بوستان كتاب.

جعفريان، رسول. (١٣٩١ش). نظريه اتصال دولت صفويه تا دولت حضرت مهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. طهران: علم.

جعفريان، رسول. (١٣٩٤ش). مهديان دروغين. طهران: علم.

جنابدي، ميرزا بيگ. (١٣٧٨ش). الروضة الصفوية. (إعداد: غلام رضا طباطبائي مجد). طهران: مؤسسة موقوفات الدكتور محمود افشار.

خليلي، نسيم. (١٣٩٢ش). گفتمان نجات بخشي در ايران عصر صفوي. طهران: علمي و فرهنگي.
دانش پجوه، منوچهر. (١٣٨٥ش). بررسي سفرنامه‌هاي دوره صفوي. أصفهان: فرهنگسراي هنر.
دلاواله، پترو. (١٣٨٤ش). سفرنامه دلاواله. (ترجمة: شعاع الدين شعاء). طهران: علمي و فرهنگي.
رايت، دنيس. (١٣٥٩ش). انگليسيان در ايران. (ترجمة: غلام حسين صدري افشاري، ط. الثانية). طهران: اختران.
سانسون، مارتين. (١٣٤٦ش). سفرنامه سانسون (وضع كشور شاهنشاهي ايران در زمان شاه سليمان صفوي). (ترجمة: تقي تفضلي). طهران: مكتبة ابن سينا.
شاردان، جان. (١٣٧٢ش). سفرنامه شواليه شاردن. (ترجمة: إقبال يغمائي). طهران: توس.
صنيعي، فرزانه؛ قبول، احسان. (١٤٠٣ش). «تصويرشناسي فرهنگ ايرانيان عصر صفوى از ديدگاه فرانسويان، موردپژوهى: رافائل دومان»، ادبيات تطبيقى، ٣١(١٦)، صص ١٦٩-١٥١.
الطبري الآملي، محمد بن جرير. (بدون تاريخ). دلائل الإمامة. قم: سلمان آزاده.
عظيمي، كاظم. (١٣٨٩ش). «درآمدى بر فرهنگ مهدويت و عناصر آن»، دين و ارتباطات، ٣٧، صص ١٦٨-١٤١.
عميد، حسن. (١٣٦٤ش). فرهنگ عميد. طهران: امير كبير.
كاتف، فدت آفاناس يفيچ. (٢٥٣٦ش). سفرنامه فدت آفاناس يوپچ كاتف. (ترجمة: محمد صادق همايون فرد). طهران: منشورات المكتبة الوطنية الإيرانية.
كاريري، جملي. (١٣٤٨ش). سفرنامه كاريرى. (ترجمة: عباس نخجواني وعبد العلي كارنگ). تبريز: الدائرة العامة للثقافة والفن في أذربيجان الشرقية).

كمپفر، انجلبرت. (١٣٦٤ش). سفرنامه كمپفر. (ترجمة: كيكاوس جهانداري، ط. الثالثة). طهران: خوارزمي.

كنتاريني، آمبروسيو. (١٣٤٩ش). سفرنامه آمبروسيو كنتارينى. (ترجمة: قدرت الله روشني). طهران: سپهر.

المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي. (١٤٠٣هـ). بحار الأنوار. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مجموعة من المؤلفين. (١٣٤٩ش). سفرنامه‌هاى ونيزيان در ايران. (ترجمة: منوچهر أميري). طهران: خوارزمي.

مجهول. (١٣٨٤ش). عالم‌آراي شاه اسماعيل. (تصحيح وتعليق: اصغر منتظرصاحب، ط.الثانية). طهران: علمي و فرهنگي.

مطهري، حميد رضا؛ نجفى نجاد، سعيد. (١٣٩٧ش). «مهدويت در تاريخ نگارى عصر صفويه»، فصلنامه مشرق موعود، ٤٦(١٢)، صص ٢٢٩-٢٤٨.

مظاهرى، محمد حسام. (١٤٠١ش). جنبش‌هاى اسلامى-شيعى در ايران (با تكيه بر سفرنامه‌ها). أصفهان: آرما.

منشي قزويني، بوداق. (١٣٧٨ش). جواهر الاخبار. (تقديم وتصحيح وتعليق: محسن بهرام نجاد). طهران: ميراث مكتوب.

مير أحمدي، مريم. (١٣٦٨ش). «اهميت تاريخى سفرنامه هاى ايران (١٩٠٠-١٤٠٠م)»، تحقيقات تاريخى، ٣، صص ٥٣٢-٤٩٥.

نعماني، محمد بن إبراهيم. (١٤٣٤هـ). الغيبة. بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

واله أصفهاني، محمد يوسف. (١٣٧٢ش). خلد برين (ايران در روزگار فرمانروايى صفويان). (إعداد: ميرهاشم محدث). طهران: مؤسسة موقوفات الدكتور محمود افشار.